مسألة السلام العربي ـ الاسرائيلي

محمد الجندي

يحق للمـواطن العربي العادي، اليوم، اذا ما ذهب بتفكيره الى أبعد من لقمته اليومية، التي تصبح، بالمناسبة، صعبة أكثر، فأكثر، ان يسأل أين تذهب به مركبة الشرق الأوسط السياسية. وهذا السؤال مشروع؛ لا لأنه يتعلق بخبزه اليومي فقط (الانفاق على السلاح يتمّ على حساب الانفاق على الخبز)، وانما، أيضاً، لأنه يتعلق بمصيره الشخصي، وبمصير عائلته، فحرب العام ١٩٤٨ أدت الى تشريد مليون فلسطيني؛ والحروب التالية أدت الى تشريد أعداد كبيرة من الفلسطينيين، والمصريين، والسوريين، والى العديد من المآسي اللبنانية. أيضاً، يمكن ان تتحوّل أراض عربية أخرى، في ظل التوتر الحالي السائد، الى أراض محتلة جديدة. اذن، ما هو الأفق أمام الانسان العادي في الشرق الأوسط ؟ ومن جهـة أخـرى، الى أي مدى يمكن للاستراتيجيات غير الناضجة، وغير المسؤولة، في الطرفين، العربي والاسرائيلي، ان تجر منطقة الشرق الأوسط الى الكوارث؟ هل يمكن قيام سلام؟ أم هي أحداث عنف متصلة، ومتواصلة؟ وانْ كان الأمر كذلك، فما عسى النهاية تكون؟

حتماً، لن تقف غالبية الحكومات العربية تجاه نفسها، كي تتساءل، جدياً، عن ذلك، وكي تصوغ الجواب عنه، وتدخله في استراتيجيتها. انها تفضل التحرك شبه العفوي، الذي يساعدها على تلافي مشكلاتها على المدى القصير. وربما لن تقف الأحزاب العربية تجاه نفسها للغرض عينه، لأن مثل هذه التساؤلات الكبرى لا تتناسب، في أغلب الحالات، لا مع القوة الاجتماعية التي تتمتّع بها، ولا مع النهج الغيبي، السائد أحياناً، في مناقشاتها للأمور، ولا مع الخلل البنيوي، الذي يعاني منه بعضها. أيضاً، هناك، في أغلب الحالات، عائق كبير لديها يتمثل بمجمل علاقاتها التعاونية، أو التناقضية مع الحكـومات ذات العلاقة، لان هذه العلاقات تجعلها تغرق في المشكلات المباشرة، التي تستهلكها، وتفصلها عن كل ما عداها.

أين يتّجه المواطن العادي، إذاً؟ وكيف من المفروض ان يفعل، كي يساهم في تلافي الكوارث؟ الواقع ان يداً واحدة لا تصفق. وليس أمام كل الناس، بمن فيهم المسؤولون أو القياديون في المنطقة، سوى ان ينتظروا مصيرهم بشكل سلبي، اذا لم تحدث تطورات ايجابية جديدة.

مطلوب من الحكومات العربية ان ترسم استراتيجيات مسؤولة؛ ومطلوب من الأحزاب السياسية ان تضع استراتيجيات واقعية ومسؤولة. ولكن كل ذلك يبقى في اطار الأمنية، الى ان يبدأ أصحاب العلاقة بالسير في اتجاهه.

السلام والحرب

السـلام والحـرب ليسـا مجرّد مسألة ارادية، متعلقة، فقط، بالأطراف ذات العلاقة المباشرة،